وهل الإيمان إلا الحب ؟

٥

حب آل البيت

الدكتور

محمد عمر الحاجي

رسوم : إياد عيساوي

obeikandl.com

الطبعة الأولى
2006 - 1426

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية ـ دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ ـ هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ ـ فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

وَفي المَساءِ خرجَ الشَّبابُ معَ مشايخِهم وأساتذتِهم لزيارةِ البقيعِ ، ولمَّا دَخلوا المقْبَرةَ قالَ الشَّيخُ (مُصطَفى): هذا قبرُ السَّيدةِ فاطمةَ الزَّهراءِ ، وهذا قبرُ ابْنِها الحَسن ، وهذا قبرُ جعفر الصَّادق رضيَ اللهُ عنهُمْ.. وراحَ يذكرُ قبورَ آل بيتِ النَّبيِّ ﷺ.

وَإذا بِهم يسمَعُونَ صوتَ رَجُلٍ كبير السنِّ ينشد وهوَ يبكي.. ويقولُ:

١ ـ أبـداً تحـنُّ إليكـمُ الأرواحُ
ولكُـمْ غـدوٌّ فـي العُـلا ورواحُ

٢ ـ يا سادةً! لولاهُمُ ما لاحَ فِي
أُفْـقِ المَكَـارِمِ للفَـلاحِ صَبـاحُ

٣ ـ مَا الفَضْلُ إلاَّ ما أحلَّ بحبِّكُمْ
وَعليكـمُ مِـنْ نـورهِ مِصبـاحُ

٤ ـ وحماكُمْ حَرمُ النَّجاة وحبُّكم
لِلقَـاصِـديـنَ ، وللعفـاةِ مُبـاحُ
٥ ـ وَإليكُمْ كُلُّ الفَضَائِل تَنتمي
جَاءَتْ أَحاديثٌ بِذَاكَ صِحاحُ
٦ ـ يَكفيكمُ يا آل طَهَ مَفخَراً
أنَّ العُـلا عِقـدٌ لكـم وَوِشَـاحُ
٧ ـ اللهُ خَصَّكُمْ بأَشرفِ رُتبةٍ
العَجـزُ عـن إدراكهَـا إفصَـاحُ
٨ ـ وَإذا تَرنّمت الأَنامُ بِحبِّكُمْ
فلِسـانُ ذكـري بـالثَّنـا صَـدَّاحُ

لكنْ من هُمْ آلُ البَيتِ؟!

سألَ الطَّالبُ الذَّكي (مُهتدي): وماذا يُقصدُ من كَلمةِ (آلِ البيتِ)؟

أجابَ الأستاذُ (نُورُ الهُدى):

اختلفَ العُلماءُ في ذلكَ ، فمنهُمْ من قالَ: إنَّهُمْ سيِّدنا رسولُ الله ، وعَليٌّ ، وفاطمةُ ، والحسنُ ، والحُسينُ رضي اللهُ عنهُمْ وصلّىٰ اللهُ على النَّبيِّ ، وهُمْ أَهلُ العَبَاء.

ومنهُمْ من قالَ: إنَّهُمْ أهلُ العباءَةِ مَعَ زَوجاتِ رسولِ الله ﷺ ، أي تشملُ أزواجهُ ومن فِي بَيْتِهِ ، وهيَ عائلةُ الزَّهراءِ.

ومنهُمْ مَنْ قالَ: بل تَشملُ بني هَاشِمٍ ، العبَّاسَ وأعمَامَهُ وبني أعمامهِ.

ومنهُمْ مَنْ قالَ: بل هُمْ جَميعُ الأُمَّةِ المُوحِّدَةِ ، أَيْ جميعُ أتباعِ رسولِ الله ﷺ ، وصَدَقَ اللهُ تعالى عندما قال:

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وصَدقَ رسولُ الله ﷺ عندَما قالَ ـ كما في سُنَنِ التِّرمذيِّ ـ:

«أَحبّوا اللهَ لِمَا يَغْذُوكُمْ بِهِ مِنْ نِعَمِهِ، وأَحبُّوني بحبِّ اللهِ، وأحبّوا أهلَ بَيْتِي لحُبِّي».

فَما هُوَ الدَّاعي لِحبِّ آلِ البَيْتِ؟!

تَساءلَ الشَّابُّ (حُسين): فمَا هُوَ الدَّاعي لحبِّ آلِ البيتِ؟!

وكانَ جوابُ الأُستاذ (زَينُ العابدينَ) على النَّحو التَّالي:

١ ـ لأنَّ اللهَ تعالى ذكرَ فَضلهُمْ في القُرآنِ الكَريمِ وفي عَددٍ كَبيرٍ مِنَ الآياتِ، من ذلكَ قولهُ تعالى في عليٍّ رضيَ اللهُ عنه:

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [البقرة: ٢٠٧].

وجاءَ في كُتُبِ التَّفسيرِ أنَّ هَذهِ الآيةَ نزلتْ في عليٍّ رضي اللهُ عنهُ ، وذلكَ في ليلةِ الهجرةِ ، حيثُ باتَ على فراشِ رَسولِ اللهِ ليلةَ خُروجهِ إلى الغارِ.

وَفِي ذلكَ قمَّةُ الإيثارِ والتَّضحيةِ ، على الرَّغمِ من الخُطورةِ التي كانَتْ تعترِضُه في تِلكَ اللَّيلةِ ، ولكنَّ اللهَ سلَّمَ.

وبعدَ عدَّةِ آياتٍ يقولُ تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ [البقرة: ٢٧٤].

فقدْ رُويَ عن ابنِ عبَّاسٍ رضي اللهُ عنهُما قولَهُ: لقدْ نزلَتْ هذه الآيةُ في عليٍّ كانَ عندهُ أربعةُ دراهمَ فأنفقَ في اللّيلِ واحداً ، وفي النَّهارِ واحداً ، وفي السِّرِّ واحداً ، وفي العَلانِيَةِ واحداً.

٢ ـ ولأنَّ فضائلَ آلِ البَيتِ كثيرةٌ ، فهُمُ السَّادةُ المُطهَّرُونَ من الرِّجسِ ، كما قالَ تعالى:

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

ولمَّا حُملَ الإمامُ زينُ العابدين ـ عليُّ بن الحسين ـ معَ سائرِ سَبايَا أهلِ البَيتِ إلى الشَّامِ ، وذلكَ بعدَ موقعةِ كَرْبَلاء وسقُوطِ الإمامِ الحُسينِ شَهيداً ، قامَ واحد من أهل الشَّامِ وقالَ: الحَمْدُ للهِ الذي قَتلَكُمْ وأهلكُمْ وأراحَ العِبادَ من رجالِكُمْ!!

فقالَ زينُ العابدين: يا هذا، هل قرأتَ القُرآنَ الكريمَ؟

قال: نَعمْ.

قالَ: أَقرأتَ قولهُ تعالى:

﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾

[الشورى: ٢٣].

قالَ: نَعمْ.

قالَ: وَهَلْ قَرَأْتَ قولهُ تَعالى:

﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ ﴾ [الإسراء: ٢٦].

قالَ: نعم.

فقال: وَهلْ قرأتَ قولَهُ تعالى:

﴿ ۞ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ [الأنفال: ٤١].

قالَ: نَعم.

فقالَ: نَحنُ واللهِ القُربَى في هَذهِ الآياتِ.

وهل قرأتَ قولَ اللهِ تعالى:

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

obeikandl.com

قالَ: نَعمْ.

قالَ: نَحنُ أهلُ البيتِ الَّذينَ خُصِصْنَا بآيةِ التَّطهيرِ.

فقالَ الرَّجلُ: اللَّهُمَّ إنِّي أتوبُ إليكَ من عَدوِّ محمَّدٍ وآل محمَّدٍ من الجنِّ والإنس.

قالَ الشيخُ (مُصطفى): أحسنتَ يا أُستاذ، ورحمَ اللهُ الإمامَ الشَّافعيّ عندَما قالَ في ذلكَ:

١ - وما زالَ كِتمانيكَ حتَّى كأنَّني
بردِّ جوابِ السَّائلينَ لأعجَمُ

٢ - وأكتمُ ودّي مَع صفاءِ مودَّتي
لِتسلَمَ من قولِ الوشاةِ وأسْلَمُ

إذاً: فمحبَّةُ المُسْلمِ لآلِ البيتِ تأتي من زاويةِ أنَّ عَمُودَ آل البيتِ هوَ رسولُ الله ﷺ، فكمَا تحبّ الرَّسولَ عليكَ أَنْ تُحبَّ كلَّ ما لَهُ علاقةٌ بِهِ، فكيفَ إذا كانُوا أهلَهُ وأقربَ النَّاسِ إليهِ؟

لذلكَ كانَ الدُّعاءُ للنَّبيِّ ولآلِ البيتِ ، وهذا حتَّى في الصَّلاةِ: (اللَّهُمَّ صلِّ على محمَّدٍ وعلى آلِ مُحمَّد).

والرَّسولُ ﷺ بيَّنَ المسألةَ فقال: «سأَلْتُ رَبِّي ألاّ يدخُلَ النَّارَ أحدٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي ، فأعطانِي ذلكَ».

وقالَ صلواتُ اللهِ عليهِ: «وعدنِي ربِّي في أهل بيتي من أقرَّ منهُمْ بالتّوحيدِ ، ولي بالبلاغِ: ألاّ يعذّبهُم».

فكيف تحدَّثَ رسولُ الله عن آلِ البيتِ؟

بهذا السُّؤالِ سَأل (مُعتزٌّ) وهو يُلحّ في السُّؤالِ..

تولَّى الإجابةَ صاحبُ الاختصاصِ في تدريسِ مادَّةِ الحديثِ النَّبويّ ، وهو الشَّيخ (مُصطفى) فاعتدلَ... وقالَ:

هُناكَ طائفةٌ كبيرةٌ من الأحاديثِ التي تدْعُو إلى تَوقيرِ آلِ البَيتِ وحبّهمْ والبرِّ بهم.

من ذلكَ ما وردَ في مُسندِ الإمامِ أحمد ، قالَ رسولُ الله ﷺ: «لا يَدْخلُ قلبَ امرئٍ مسلمٍ إيمانٌ حتَّى يحبَّكم للهِ ولرسولهِ ولقرابَتِي».

ومنها ما أوردهُ السُّيوطيّ ، قال رسولُ الله ﷺ: «مثلُ أهلِ بيتِي مثلُ سفينةِ نوحٍ ، مَنْ رَكِبَها نجَا ، ومَنْ ترَكها غَرِقَ».

ومنهَا ما أوردَهُ الهَيثميُّ ، قالَ رسولُ الله ﷺ: «كلُّ نسبٍ وصهرٍ يقطعُ يومَ القيامةِ إلاّ نسبِي وصِهْرِي».

ومنهَا قولهُ صلواتُ اللهِ عليهِ: «أربعةٌ أنا شفيعٌ لهُمْ يومَ القيامةِ: المكرمُ لذريَّتِي ، والقاضِي لَهُمْ حوائِجَهُمْ ، والسَّاعي لَهُمْ في

أُمورِهِمْ عِندَما اضطُروا إليه ، والمحبّ لهم بقلبهِ ولسانِهِ».

وَمنها قولهُ ﷺ: «والَّذي نفسِي بيدهِ لا يُبْغِضُنَا أهلَ البيتِ رجلٌ إلا أدخلَهُ اللهُ النَّار».

ومنها قولُهُ ﷺ: «ستَّةٌ لَعَنَهُمُ الله ، وكلّ نَبيّ مُجاب الدَّعوةِ: الزَّائدُ في كتابِ اللهِ ، والمكذّبُ بقدرِ الله ، والمتسلّطُ بالجَبَرُوتِ فيعزّ بذلكَ مَن أذلَّ الله ويُذلُّ من أعزَّ الله ، والمستحلّ لحرمِ اللهِ ، والمستحلّ من عترتِي ما حرَّمَ اللهُ ، والتَّارِكُ لِسُنَّتِي».

ثمَّ راحَ الشَّيخُ (مُصطفَى) يُنشدُ مع ذلكُم المحبّ لآلِ البيتِ:

١ ـ بِحبّ بني الزَّهراء هِمْتُ أنا وجدَا

وحسبِي بِهم فخراً وحسبِي بهم مجدا

٢ ـ فلا تَتّهِمونِي في محبَّةِ غيرِهم
فمَا الهَوىٰ أَخلصتُ إلاّ لهُمْ ودّا
٣ ـ أُشبِّبُ في سُعْدى مَجازاً وإنَّما
حَقيقةُ تَشبيبِي بهم ليسَ في سُعدَى
٤ ـ لقدْ عَذبتْ لي من نداهُمْ مواردٌ
عذُوبتهَا تَاللهِ قدْ فاقَتِ الشَّهدَا
٥ ـ ومَهْمَا تَرُمْ نَفسي السِّيادَةَ والعُلا
تَرُمْ أنَّها تبقى على بابِهم عبدا

العلاقةُ الحميمةُ بينَ الصَّحابةِ وآل البَيت؟!

وعقَّبَ الأُستاذ (نُورُ الهدى) بقولهِ:

ولقد كانَ الصَّحابةُ الكرامُ على اطلاعٍ واسعٍ على فَضائلِ آلِ البيتِ ومكانَتهِم ، لذلكَ كانُوا يودّونَهُمْ ويوقّرونَهُمْ ، ومن الأمثلةِ على ذلكَ:

ما أوردَهُ الإمامُ أحمد من أنَّ أبا هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ لقيَ الحسنَ بنَ عليٍّ رضي اللهُ عنهما فقال له:

اكشفْ عَنْ بَطنكَ ، فكَشَفَ الحَسنُ ، فانكبَّ عليهِ يقبِّلهُ ، ثُمَّ قال: لقدْ رأيتُ رسولَ الله ﷺ يقبّلُ ذلكَ!

وَأوردَ ابنُ عساكر أنَّ زيدَ بن ثابتٍ رضيَ اللهُ عنهُ ركبَ يوماً، فأخذَ ابنُ عبَّاس بركابهِ ، فقالَ: تنحّ يا بنَ عمّ رسول الله ، فقالَ: هكذا أُمرنَا أَنْ نفعلَ بعلمائنَا وكبرائنا ، فقال زيدٌ: أرني يدكَ ، فأخرجَ يَدهُ ، فقبَّلها ، وقال: هكَذا أُمرنَا أَنْ نَفعَلَ بِأهلِ نبيِّنا ﷺ!!

وَأوردَ البيهقيُّ وغيرُه قصَّةَ تزويجِ عُمَرَ من أمِّ كُلثوم بنت عليٍّ رضيَ اللهُ عنهم أجمعين ، على الرَّغْمِ مِنَ الفارقِ في العُمرِ ، لكنَّ الفاروقَ

كانَ ينظرُ إلى أمرٍ آخرٍ ، وهو النَّسبُ الشَّريفُ من ابنةِ الزَّهراء رضي الله عنها ، لذلكَ قالَ عُمَرُ: لقدْ سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «كلّ صِهرٍ أَوْ سببٍ أو نسبٍ يَنقطعُ يومَ القِيامةِ إلا صهرِي ونَسبي وسَبَبِي».

وإنَّهُ كانَ لِي صُحبةٌ فأحببتُ أَنْ يَكُونَ لِي مَعَها سَببٌ.

وردَّدَ الشَّابُّ (مُهتدِي) قولَ الإمامِ الشَّافعيّ رَحمهُ اللهُ تعالى:

يـا آلَ بيـتِ رسـولِ اللهِ حُبُّكُـمُ
فَرضٌ من اللهِ في القُرآنِ أَنزلهُ
يكفيكُمْ مِنْ عظيمِ الفخرِ أَنَّكمُ
مَنْ لَمْ يُصلِّ عليكُمْ لا صلاةَ لهُ

والحَمْدُ للهِ ربِّ العالمين